1 - والضحى .

- 2 - والـليل إذا سجى - 3 - ما ودعك ربك وما قلى .

- 4 - وللآخرة خير لك من الأولى .

- 5 - ولسوف يعطيك ربك فترضى .

- 6 - ألم يجدك يتيما فآوى .

- 7 - ووجدك ضالا فهدى .

- 8 - ووجدك عائلا فأغنى .

- 9 - فأما اليتيم فلا تقهر .

- 10 - وأما السائل فلا تنهر .

- 11 - وأما بنعمة ربك فحدث .

روى الإمام أحمد عن جندب بن عبد ا قال : اشتكى النبي صلى ا عليه وسلّم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت إمرأة فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل ا D : { والضحى والليل إذا سجى ... ما ودعك ربك وما قلى } (أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي) . وفي رواية : أبطأ جبريل على رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال المشركون : ودع محمدا ربه فأنزل ا تعالى : { والضحى والليل إذا سجى ... ما ودعك ربك وما قلى } وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء { والليل إذا سجى } أي سكن فأظلم وادلهم وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى كما قال تعالى : { والليل إذا يغشى ... والنهار إذا تجلى } وقال تعالى : { فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم } وقوله تعالى : { ما ودعك ربك } أي ما تركك { وما قلى } أي وما أبغضك { وللآخرة خير لك من الأولى } أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان رسول ا صلى ا عليه وسلّم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها إطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى ا D اختار ما عند ا على هذه الدنيا الدنية روى الإمام أحمد عن عبد ا بن مسعود قال : اضطجع رسول ا صلى ا عليه وسلّم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول ا ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها " (أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي : حسن صحيح) . وقوله تعالى : { ولسوف

يعطيك ربك فترضى } أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب الؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي . وروي عن ابن عباس أنه قال : عرض على رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل ا { ولسوف يعطيك ربك فترضى } فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم (أخرجه ابن جرير قال ابن كثير : إسناده صحيح ومثل هذا لايقال إلا عن توقيف) وقال السدي عن ابن عباس : من رضاء محمد صلى ا عليه وسلّم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار قال الحسن : يعني بذلك الشفاعة ثم قال تعالى يعدد .

نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات ا وسلامه عليه : { ألم يجدك يتيما فآوى } وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه ا على رأس أربعين سنة من عمره هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر ا وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار ا له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أحرى ا سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي .

ا عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ ا له وكلاءته وعنايته به .

وقوله تعالى : { ووجدك ضالا فهدى } كقوله : { وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان } الآية ومنهم من قال : إن المراد بهذا أن النبي صلى ا عليه وسلّم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل : إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة .

في الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاه البغوي وقوله تعالى : { ووجدك عائلا فأغنى } أي كنت فقيرا ذا عيال فأغناك ا عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات ا وسلامه عليه وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس " (أخرجه الشيخان) . وفي صحيح مسلم عن عبد ا بن عمرو قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه ا بما آتاه " (أخرجه مسلم) . ثم قال تعالى : { فأما اليتيم فلا تقهر } أي كما كنت يتيما فآواك ا فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به وقال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم { وأما السائل فلا تنهر } أي وكما كنت ضالا فهداك

ا فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن إسحاق : { وأما السائل فلا تنهر } أي فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد ا وقال قتادة : يعني رد المسكين برحمة ولين { وأما بنعمة ربك فحدث } أي وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك ا فحدث بنعمة ا عليك كما جاء في الدعاء المآثور : " واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا " . وعن أبي نضرة قال : كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها (رواه ابن جرير) وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا : يا رسول ا ذهب الأنصار بالأجر كله قال : " لا ما دعوتم ا لهم وأثنيتم عليهم " (أخرجه الشيخان) وروى أبو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : " لا يشكر ا من لا يشكر الناس " (أخرجه أبو داود والترمذي) . وقال مجاهد : يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه : القرآن وقال الحسن بن علي : ما عملت من خير فحدث إخوانك وقال ابن اسحاق : ما جاءك من ا من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها